- **الأسس العلمية والمعرفية لعلم الأنثروبولوجيا**

تأسست الأنثروبولوجيا كعلم متخصص أكاديمي في عصر الحداثة كغيرها من العلوم الإنسانية، فقد تبلورت في أحضان التفكير والبحث العلمي أين تطورت بالمقابل النظريات والمناهج الكبرى في تفسير التاريخ البشري والإيكولوجي، انطلاقا من جدلية هيجل وماركس والنزعة التطورية الداروينية وسيكولوجية فرويد وسوسيولوجية دوركايم وغيرها من الأنماط التفكيرية العلمية التي كانت لها الاثر المباشر على البحث الأنثروبولوجي القائم على المعرفة العلمية لسلوك الإنسان. لذلك فقد تعددت رؤى الباحثين باختلاف نماذج بحوثهم االأنثروبولوجية إلى حدود التحيز الذاتي، بسبب التباين والإختلاف في التقصي الانثروبولوجي للإنسان .مما أدى ذلك إلى تضارب المفاهيم والمصطلحات وحدوث التناقض في المبادئ والمناهج، والتي انعكس تأثيرها في اضطراب حقيقة الإنسان خاصة المنطق العلمي للغرب.لأجل ذلك تعددت النزعات التفسيرية لهذه الحقيقة البشرية .ولقد كانت النزعة الإنسانية مناهضة للظلم الذي عاشه الإنسان من تهميش لإرادته الحرة، وما تعرض إليه حسب تفسيرات نظرية التعويض الإلاهي من هيمنة وتحكم العالم الخارجي في تفكيره وتقرير مصيره، حيث تعرض الإنسان آنذاك لمختلف أنواع التهميش في التمييز العنصري والإيديولوجي والديني، بحيث ظهرت حتمية رفع الأيدي الظالمة عن قيمته وكرامته، وإعادة الإعتبار له كذات إنسانية لها قدرات ورغبات وميولات في تحقيق الوعي الذاتي االإنساني بعيدا عن الطقوس وفكرة المعبود الإنساني، والتوجه إلى فكرة أنسنة الآلهة مثلما دّلت عليها الأبحاث الفلسفية والفكرية، وبصفة خاصة عند فريدريك نيتشه الذي التمس الإبداع الفني والطاقة الإنسانية وبزوغ العقل الإنساني العلمي.[1]

كما ظهرت النزعة الإنسانية في وصية سقراط –أعرف نفسك بنفسك- والتي أوضحت فكرة الوعي بالتاريخ ودوره في بلورة النزعة الإنسانية في الفكر الغربي، خاصة بما انبثق عنها من إرهاصات فكرية ومقدمات تاريخية، والتي عززت هذه النزعة الإنسانية وأبرزتها في معرفة جديدة تحت إسم عصر التنوير، الذي أفرز ميلاد النزعة الإنسانية كمعرفة علمية متخصصة تستخدم لأول مرة مصطلح الأنسنة، بمعنى الخصائص المميزة للإنسان عن سائر المخلوقات، لتتطور فيما بعد إلى اتجاه تربوي يهتم بالآداب والثقافات التي ترفع من قيمة وشأن الإنسان، أو كما عبر عنها "نيتشه" البحث عن النور في الظالم أو فلسفة ميلاد النور من الظالم، حيث يعني بالظالم الفلسفة المثالية الألمانية الأخلاقية القائمة على الضمير كمفهوم لصوت الله المستمر في الإنسان" كما ادعته تلك الفلسفة. [2]

---

[1]- فريدريك نيتشه، **العقول الحرة**. ترجمة محمد الناجي، ج،2 ط2، افريقيا الشرق، المغرب، 2010م، ص74.

[2]- فريدريك نيتشه، **هذا الإنسان**. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2005م، ص151.

لذلك، ّ فإن "نيتشه" ّ أكد على فكرة تعميق البحث في الظالم من أجل انبثاق النور.

وبهذا فقد شهدت النزعة الإنسانية العديد من التطورات من خلال إبداعات ومساهمات العديد من المفكرين والعلماء الذي أعطوا مفهوما جديدا للنزعة الإنسانية الدالة على كل نظرة أو فلسفة تتخذ من الإنسان محور تفكيرها وغايتها وقيمتها العليا. [3]

وقد تطورت هذه النزعة في المسلمات التربوية التنويرية، ونضجت في الفكر المعاصر بالوجودية السارترية بوصفها مذهبا إنسانيا متكامال أو كما عرفه "جون بول سارتر" (نعني بالمذهب الإنساني الوجودية التي تجعل الحياة الإنسانية ممكنة، بمعنى التركيز والتعمق أكثر في الذاتية الإنسانية). [4]

.لقد دافع سارتر عن حرية الإنسان وكرامته الإنسانية بعيدا عن حتمية اللاشعور التي وظفها المذهب البنيوي وبصفة خاصة التحليل النفسي .وهكذا اختلطت الافكار العلمية المستندة على الطبيعة وقوانينها بالأفكار الادبية والفلسفية خلا ل القرن 69م، بحيث أصبح من الصعب التمييز بين الافكار العلمية والأدبية، وبصفة خاصة على مستوى منهج مقاربة الظواهر الإنسانية التي انقسم على إثرها مفكرون يميلون إلى المقاربة العقلانية، وآخرون إلى المقاربة الحسية التجريبية. بمعنى أن فريقا ينتقل في موضوع وظاهرة واحدة من نزعة طبيعية إلى فلسفة إنسانية، مثلما حدث مع أوغست كونت وجون ستيوارت ميل وغيرهم، إلى أن هذا التجاذب سواء على مستوى الفيلسوف الواحد أو على المستوى العالمي، قد انتهى إلى التسليم بموضوعية الحقيقة وقدرة الإنسان على تنظيم ظواهر الكون، واكتشاف القوانين وقدرة التفكير االإنساني على تحصيل الحقائق في إطار من الدقة والموضوعية والتحكم والتنبؤ، بحيث أصبحت هذه المؤشرات أهدافا عامة لكل العلوم . [5]

وفي ضوء هذه التجاذبات الفكرية والعلمية، حاول "دوركايم" في سياق تأسيسه لعلم الإجتماع على أسس علمية متميزة، أن يحرر المعطيات الأنثروبولوجية للمجتمعات البدائية من النزعة البيولوجية النشوئية التطورية المتطرفة، مؤكدا بذلك على فكرة السببية للظواهر الإجتماعية و التمسك بعملية التزامن بدلا من التعاقب الزمني، الذي يعتبر مبدأ للتاريخ وليس لعلم الإجتماع والأنثروبولوجيا. فعالم الإجتماع يدرك الظواهر في تزامنها وتفسيرها تفسيرا سببيا، في حين أن عالم التاريخ يدرك الظواهر نحو تعاقبها ليستخلص النتائج. ووفقا لهذا المبدأ المنهجي، عرض "دوركايم "القوانين الإجتماعية من خلال دراسته لظاهرة

---

[3]- عبد الرزاق الدواي: **موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر(هيجل، لفي ستروس، ميشيل فوكو)**. دار الطليعة للنشر، بيروت . -لبنان، 1991م، ص191.

[4]- -جان فرانسوا دورتيه، **معجم العلوم االإنسانية**. ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبوظبي- الإمارات . العربية المتحدة، 2009م، ص972.

[5]- – حسان الباهي، **الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة، حكمة الآلة أمام حكمة العقل**. افريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2012م، ص40.

الإنتحار، حيث توصل في ضوء هذه القوانين، أنه كلما ضعف تأثير المعايير الإجتماعية على الأفراد في مجتمع ما وفي زمن ما، كلما سادت اللامعيارية الإجتماعية، وبذلك يفقد الأفراد تكيفهم مع محيطهم ويزداد ميلهم للإنتحار، بما ساعد ذلك على تلازم السببية اللامعيارية بالنتيجة الإنتحار بشكل تزامني.[6]

وعموما تعددت التجاذبات والإستقطابات المتباينة حول النزعة الإنسانية كموقف ابستيمولوجي أفرز الكثير من التطورات التي أسفرت عن ميلاد الأنثروبولوجيا، بحيث تطورت وسائلها ومناهجها كعلم له ماهيته الرمزية والجسدية

[6]- العربي بلقاسم فرحاتي، **تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان- قراءة في علوم الإنسان الحديثة ومقدمات البديل**.- ج3،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 21.